

وطنية البولونيات

تتمزى الوطنية عند الامم الصغيرة المستعبدة لغير سيفها المحكومة بقوانين غيرها الراحة تحت اثقال الافتتاح والاستعمار . تتمزى بتمسك البعض بها وبانها لم تعد انصاراً يحفظون لها ذكرًا او يناجونها سرًا وجهرًا . حتى اذا مكنتهم الاحوال يدافعون عنها ويشدون ازرها . فتأمل بالاستقلال يوماً ما ولو خيل ان استقلالها محال . ولولا هذا الامل لما استقلت امة بنفسها بعد ان حكمها الغير . بل لما سمعت الى الاستقلال ولا خطوة

الوطنية روح الامة ولا حياة لهذه الابرار . ولولاها لما تألفت الامم . لما استقلت ولا ارتقت . بها العز والمجد . بها القوة والفخر . وبدونها ذل وبأس . نعم هي من دواعي الفطرة غريزة في النفس وانما يوجد كثير من الناس لا يراعونها ولا يعتدون بها حتى ولا يذكرونها كأنها ليست بشي .

وهنا يظهر الفرق بين الامم . بين بعيدة النظر وقصيرته . بين المتبصرة بالعواقب والمتلاهي عنها . بين المستعدة للاستقلال والتي لا تستحقه

الى الجانب الشمالي من تركيا في اوربا امة تقاسمها الالمان والروس والنمساويون نجد السيف امة ترسف الآن بقيود الاحتلال الالماني والروسي والنمساوي . بعد ان كانت مستقلة تؤلف دولة . وقد مر على استقلالها مئات من الاعوام وهي عاتشة حرة الى ان دبت فيها روح المفساد المذلة . فارتكبت من الفضائع والاغلاط ما فادها الى التقسيم بين مخالب ثلاثة نسور عظام من اكبر دول الارض . فسقطت الى الحضيض بعد ان كانت في اوج المجد . ولم تجدها نفماً كثرة ابنائها المتراوحين بين الاثني عشر والخمسة عشر مليوناً من النفوس حسب رواية لاروس او اثلاثين مليوناً حسب قول سيف الدين افندي

كاستوت مؤلف كتاب البولونيون والاسلام ولا اصلها الصقلي ولا عاصمتها
فرسوفيا ولا حصونها المنيعه وجيوشها الجرارة حتى ولا شرفاؤها المستبدون
للعامة ولا عائمها الراضخون لاستبداد الشرفاء.

فهذه الامة المنكودة الحظ مع كل ما توالى عليها من الضغط السياسي
القاهر مع كل ما فعلته الامم المستبدة بها من التصفيق عليها الى ان منعها
المانيا وروسيا من استعمال لغتها في المعاملات الرسمية ومن تعليمها في
المدارس ومع تحفظها المتواصل للتهوض من كبوة الذل وكبح جماحها العاجل
بالسجن والقتل او بالنفي والتشتيت . ومع تسكين ابواب النجاة في وجهها من
جميع النواحي . مع كل ذلك ما ينست بعد من الاستقلال بل لا تزال تطمع به . ولها
من عواطفها الوطنية باعث للأمل . وحسبها ان لسانها يد طولى في الامر
وعناية كبرى . حسبها منهن الاهتمام العظيم بتربية النسل على الوطنية
وغرس اصولها فيه من صغروا وتمكينها منه في الكبر حتى انهن يؤثرن تأثيراً
وطنيا في ازواجهن من اي امة كانوا الامر الذي استدعى انتباه الدولتين
العظيمتين روسيا والمانيا الى مراقبة المرأة البولونية مراقبة دقيقة بحذر وامعان

وقد بلغ الحذر بالمانان الى ان سنوا قانوناً بمنع طباطهم من الافتتان
بالبولونيات . ولا ياول ذلك الى انحلال عرى الوطنية الالمانية في الاراضي
البولونية اذ عرفوا مقدرتهم على التسلط عليهم وبثن روح وطنيتهم في
نفوسهم ونفوس ابنائهم مما لا يناسب مصلحة الدولة المتسلطة . وكان العامل
الاكبر على سن هذا القانون داهية المانيا ومؤسس امبراطوريتها البرنس بسمارك
فانه لما رأى طلائع هذا الامر سارية خاف من عقباها فاستصدر قانون المنع
ليحفظ مقام دولته في قسمها البولوني ويجهز على بقية امال البولونيين في الاستقلال
على ان المرأة البولونية بما فيها من شرف العواطف الوطنية اعظم من ان

توخذ بمثل هذه العوائل للياس . وهي التي كانت بالامس يوم منع الروسيون بني قومها من تعلم لغتهم القومية قبل ان لوطنيتهم تاخذ ابناؤها الى الغابات والحقول تعلمهم لغة اباؤهم وتدرسهم مفاهيم اسلافهم ليظلوا بولونيين بعواطفهم وينجو من احاييل الروس المنصوبة لجعلهم روسيين ولو بالقوة . ويوم لم تكن المدارس في بولونيا الروسية تجسر على تعليم لغة البلاد لابناء البلاد كانت المرأة البولونية تجرأ على ذلك رغم كل قانون . وكم هو مراث وجيل تفرق النساء في الاحراج وتفي ضلالها لغير بذور الوطنية في نفوس الصغار بتعليمهم لغتهم الاصلية . واللغة دعامة الوطنية . كم هو عظيم الالتجاء الى البراري والتعرض لحرها وبردها مقاومة لاستبداد يضحى حق الضعيف للقوي . ولما منع الالمانيون لغة البولونيين من المعاملات الرسمية وحفظوا عليهم تعلمها كانت النساء البولونيات في مقدمة الشاثرين احتجاجاً على هذا الظلم ولم يكنهن الجهاد بنفوسهن حتى استنصرن الرأي العام في العام المتمدن ليساعدهن على التحرر من هذا الرق فكان من مناصريهم الفيلسوف تولستوي وكثير من اعظم الانسانية ومع كون المرأة البولونية تمثني باتقان لغتها كل الاعثناء وتحفظ بوطنيتها كل الحفظ حتى ولو كانت خارج بلادها فانها لاتذخر وسماً في تعلم اللغات الاجنبية وتقائها جيداً كابنائها تماماً والفتيات البولونيات اللواتي تعلمن في فرنسا هن اكثر الفتيات الاجنبيات فيها واتقانهن للغة الفرنسيين يضرب به المثل وهن حينما حللن يحافظن على عاداتهن واخلاقهن محافظة جميلة حتى في اميركا فانهن لم يتأثرن كثيرهن من المهاجرات الاوروبيات فاذا سمى البولونيون للاستقلال يوماً ما وعملوا على خلع نير الروس والالمان والنمساويين ومكسبتهم من ذلك الاحوال فانهم يجدون من نساؤهم مساعدات لهم يوطنن دعائم الوطنية ويعززن المحاسن الانسانية . وما على المرأة امر عسير